ملف خاص بصوت البصرة

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية والنشر
الجمهورية العراقية

المجلد الرابع عشر - العدد الثالث ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣

WWW.ATTAWEEL.COM

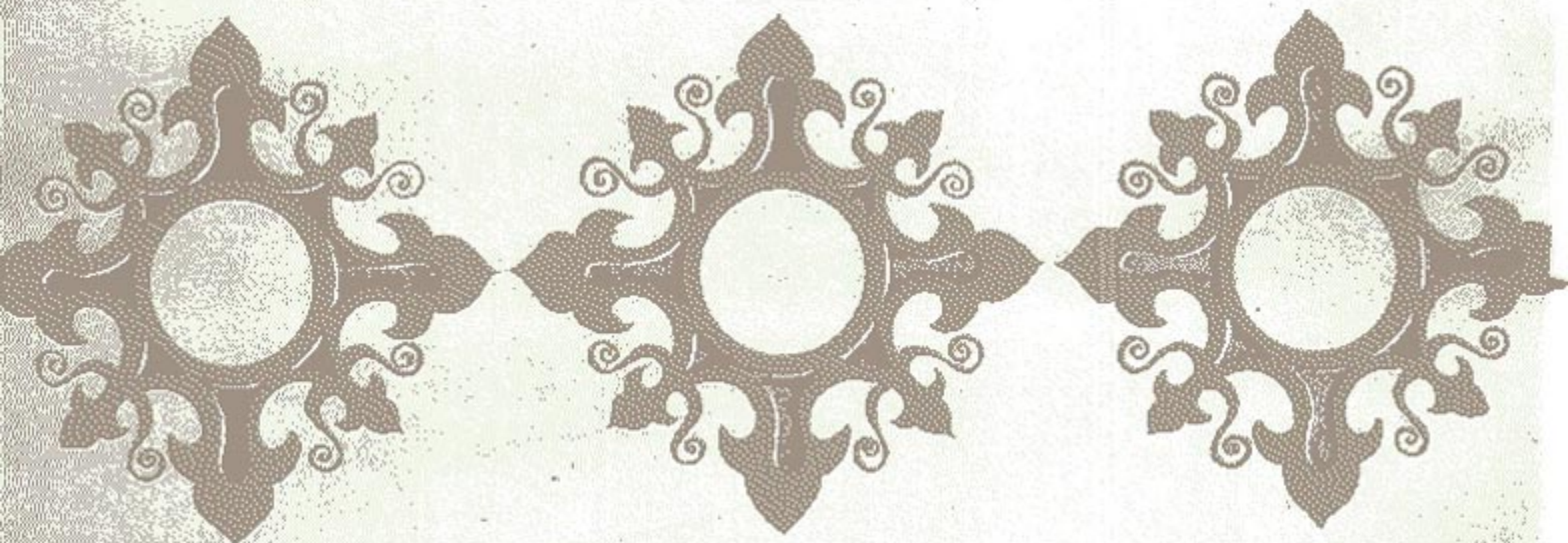

أسعد الحكيم محمد

الرِّبَطُ الإسْلامِيَّة

تَعْرِيفُها وتَارِيخُها ودَوْرُها في الدِّفاعِ عَنِ الحُدود

الدكتور

محيي هلال السرحان

كلية الشريعة / جامعة بغداد

معنى الرِّبَط :

الرِّبَط ـ بضمتين ـ جمع رِباط ، بكسر الراء ، مثل كتاب وكُتُب .

وللرباط معانٍ لغوية كثيرة الى جانب المعنى الاصطلاحي المقصود هنا :

معنى الرباط لغةً :

فمن معاني « الرباط» في اللغة :

١ ـ اسم من الفعل رَبَطَ الشيء ـ اي شدّه ـ يربِطُه ، ويَرْبُطُه ـ بكسر الباء وضمّها (١) من بابي ضرب ، ونصر (٢) ، وممن حكاهما الاخفش والجوهري (٣) ، فيكون معنى الرباط هذا الشد والوثاق ، يقال : ربطت الرماح رباطا محكما ، إذا شددتها شدّا وثيقا .

٢ ـ مصدر للفعل : رابَطَ يرابط رباطا ومرابطة ، من نحو قاتل يقاتل قتالا ومقاتلة ، إذا لازم ثغر العدو (٤) ، ورباط الخيل مرابطتها (٥) .

نقل الصاغاني عن القتيبي قوله : « المرابطة : ان يربط هؤلاء خيولهم ، ويربط هؤلاء خيولهم في ثغر ، كلٌّ معدٌّ لصاحبه ، فسمي المقام في الثغر رباطا » (٦) .

---

(١) مادة (ربط) في القاموس المحيط (ط٢ : مصطفى الحلبي ، ١٩٥٢) ٢ / ٣٧٤ ، تاج العروس للزبيدي (ط : الخيريه بالقاهرة ١٣٠٧) ٥/ ١٤١ ، لسان العرب لابن منظور (ط : دار المعارف بمصر ـ مرتبة على أوائل الالفاظ ١٩٨١) ٣ / ١٥٦٠

(٢) مختار الصحاح للرازي (ط ١ : دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧) مادة ربط : ٢٢٩ .

(٣) النووي ، ابو زكريا محيي‌الدين بن شرف (المتوفى ٦٧٦هـ) تهذيب الاسماء واللغات (ط : المنيرية بالقاهرة) ج ١ قسم ٢ ص ١١٦

(٤) مادة (ربط) في الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ط٢ عيسى الحلبي ١٩٧١) ٣ / ٢٥٥ ، واللباب للصناقاني (ط١ : دار الحرية بغداد ١٩٧٩) حرف الطاء فصل الراء ، ص : ٦٧ ، والمصباح المنير للفيومي (ط٢ : المطبعة الاميرية بمصر ١٩٠٩) ١ / ٢٢٠ معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبدالسلام محمد هارون (ط ٢ : مصطفى الحلبي ١٩٧٠) ٢ / ٤٧٨

(٥) لسان العرب : ٢ / ١٥٦١ ، تاج العروس : ٥ / ١٤١ ، النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير (ط١ : عيسى الحلبي بمصر ١٩٦٣) ٢ / ١٨٦ ، تهذيب الاسماء واللغات : ج١ قسم٢ ص ١١٦

(٦) اللباب : ٦٧ ، وقد نقل هذا القول منسوبا الى القتيبي في القاموس ٢ / ٣٧٤ والتاج : ٥ / ١٤١ ، واللسان : ٣ / ١٥٦١ ، ولم اجده في غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق الدكتورعبدالله الجبوري مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧

WWW.ATTAWEEL.COM

ومنه قوله تعالى « آصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا »(٧) اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين ، مستعدين للغزو (٨) ، واقيموا على جهاده .

وقوله تعالى : وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ »(٩) بمعنى المرابطة (١٠) في الحرب (١١) .

٣ ــ ما تشد به الدابّة ، او القربة (١٢) ،او غيرهما ، من حبل ، أو وكاء ، او سلسلة ، ونحو ذلك ؛ يقال : قطع الظبي رباطه ، اي حبالته (١٣) .

ومن هذا المعنى سمّي ما تربط به العظام بعضها ببعض في المفاصل المتحركة ، ويتكون من حزم ليفية متوازية ، او من شريط ، او سلك ، او لفافات ، او ضمادات ، او غير ذلك ، وله انواع متعددة (١٤) .

ومن المجاز في هذا المعنى قولهم : قرض فلان رباطه إذا انصرف مجهودا (١٥) ، او اذا مات وبلّ من مرضه وأصبح قد ربط الله عنه وجمه(١٦)

٤ ــ المواظبة على الامر (١٧) ، قال ابو علي : « هو ثان من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل »(١٨) .

ويكون معنى قوله تعالى « ورابطوا »(١٩) اقيموا على جهاده بالحرب وواظبوا على ذلك (٢٠).

ويكون على هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » (٢١) ، أي المداومة (٢٢) .

٥ ــ وقد تطلق الكلمة على الخيل نفسها : قال الازهري : « والعرب تسمّي الخيل اذا ربطت بالافنية رُبُطا واحدها ربيط ، وتجمع الرُبُط رباطا ، وهو جمع الجمع »(٢٣) .

وحدّدها الصاغاني بالخيل الخمس فما فوقها (٢٤) .

وبه فسّر ابن زيد قوله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ »(٢٥) قال : « الرباط من الخيل :الخمس

---

(٧) سورة آل عمران من الآية : ٢٠٠

(٨) الزمخشري : الكشاف (ط : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٤٧) جـ١ ص ٤٦٠ ، والفائق ٢ / ٢٥٥ .

(٩) سورة الانفال من الآية : ٦٠

(١٠) الكشاف : ٢ / ٢٣٢ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن : (دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٧) : ٨ / ٣٦

(١١) الازهري : تهذيب اللغة (ط : الدار المصرية للتاليف ١٩٦٤) ١٢ / ٣٣٨

العباب : ٦٧ ، المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (طبعة مصورة عن طبعة سنة ١٣٢٨ في دار الكتاب العربي بيروت) مادة ربط : ١٨١ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، جـ ٤ ص ٣٢٣ .

(١٢) القاموس : ٢ / ٣٧٤ ، التاج : ٥ / ١٤١ ، اللسان : ٢ / ١٥٦٠

(١٣) العباب : ٦٧ ، اللسان : ٢ / ١٥٦١ ، معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٧٩) .

(١٤) دائرة المعارف للبستاني مادة (ربـاط) ، (مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٤) المجلد الثامن : ٥١٥ ــ ٥٢٦ ، وانظر تكملة المعاجم تاليف رينهارت دوزي ، ترجمة الدكتور سليم النعيمي ، (دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢) جـ ٥ ص ٧١ .

(١٥) العباب : ٦٧ ، اللسان : ٢ / ١٥٦١ ، التاج : ٥ / ١٤٢ .

(١٦) الزمخشري : اساس البلاغة (مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٠) مادة (ربط) : ١ / ٢١٦ ، ونقله عنه الزبيدي في التاج : ٥ / ١٤٢

(١٧) السجستاني ، ابو بكر محمد : تفسير غريب القرآن (دار التراث بالقاهرة) ص ٣٢ ، والقاموس : ٢/٢٧٤ والتاج : ٥ /١٤١ .

(١٨) التاج : ٥ / ١٤١ ، اللسان : ٢ / ١٥٦١

(١٩) سورة آل عمران من الآية : ٢٠٠

(٢٠) تهذيب اللغة : ١٢ / ٣٣٨ ، العباب : ٦٧ ، المغرب في ترتيب المعرب : ١٨١ .

(٢١) حديث : « ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ... » رواه الامام مسلم القشيري في الطهارة من صحيحة(صحيح مسلم : ١ / ٢١٩ ، رقم : ٢٥١) والنسائي في الطهارة ايضا (سنن النسائي : ١ / ٨٩) والامام احمد ابن حنبل (المسند : ٢ / ٢٧٧ ، ٢٠٣) ورواه غيرهم ، وكلهم اخرجوه من حديث ابي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٢) النهاية في غريب الحديث : ٢ / ١٨٦ .

(٢٣) تهذيب اللغة : ١٢ / ٣٣٨ ، ونقل هذا الكلام عنه في التاج : ٥ / ١٤٢ ، واللسان ٢ / ١٥٦١ .

(٢٤) العباب : ٦٧ ، وانظر مختار الصحاح للرازي : ٢٢٩ ، والقاموس : ٢ / ٣٧٤ ، والتاج : ٥ / ١٤١ ، تفسير القرطبي : ٨ / ٣٦ ، معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٧٨

(٢٥) سورة الانفال ، من الاية : ٦٠

فما فوقها ، وجماعته رُبُط" ، وهي التي تَرْتَبِط" »(٢٦) .

وخصّ الفرّاء رباط الخيل هنا بالاناث منها (٢٧) .

ويتصل باطلاق الرباط وارادة الخيل نفسها، قولهم : لفلان رِباط" من الخيل ، كما تقول تِلاد" ، وهو اصل ما يكون عنده من خيل (٢٨) ، يؤيده قول ليلى الاخيلية :

قَوّام" رِباطَ الخَيْلِ وَسْطَ بيوتِهم
وَاسِنَة زرق" يُخَلْنَ نُجُومَا (٢٩)

٦ ـ وقد تطلق الكلمة على المكان الذي يرابط فيه الجنود .

قال الراغب الاصفهاني : « وسمي المكان الذي يخص باقامة حفظة فيه رباطا »(٣٠) .

وقال ابن الاثير في نسبة (الرباطي) : هذه النسبة الى الرباط ، وهو اسم لموضع رباط الخيل »(٣١) .

٧ ـ وقد تطلق الكلمة على الفؤاد (٣٢) ، كان الجسم قد ربط به (٣٣) .

قال العجاج يصف ثورا وحشيا :

« فباتَ وهو ثابتُ الرِّباط ... »

اي ثابت النفس والفؤاد (٣٤)

(٢٦) تفسير القرطبي : ٨ / ٣٦

(٢٧) الفراء ، ابو زكريا يحيى بن زياد : معاني القرآن (دار الكتب بمصر ١٩٥٥) ١ / ٤١٦ ونقلها عنه الزبيدي في التاج : ٥ / ١٤٢ ، واخرجه الطبري عن عكرمة (تفسير الطبري ـ دار الفكر بيروت ١٩٧٨): ١٠ / ٢٢ وانظر ذلك في الدر المنثور للسيوطي : ٣ / ١٩٢

(٢٨) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٧٨ ، العباب : ٦٧ ، اللسان ٣ / ١٥٦١

(٢٩) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٧٨

(٣٠) الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن (مطبعة نور محمد في كراتشي ـ باكستان ١٣٨٠ / ١٩٦١) ص ١٨٤

(٣١) ابن الاثير : العباب في تهذيب انساب السمعاني نشر مكتبة المتنبي ببغداد) : ٢ / ١٤

(٣٢) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٧٨ ، اللسان : ٣ / ١٥٦١، التاج ٥ / ١٤١ ، وانظر ص ١٤٢ منه وفيه انه يطلق على النفس

(٣٣) اللسان : ٣ / ١٥٦١ ، التاج : ٥ / ١٤١

(٣٤) ديوان العجاج برواية الاصمعي تحقيق الدكتور عزة حسن (مكتبة دار الشرق بيروت) ص : ٢٥٢ رقم القصيدة : ٢٠ ، الشطر رقم ٣٢ ، وانظر ذلك في اللسان : ٣ / ١٥٦١ ، التاج : ٥ / ١٤٢ ، العباب : ٦٧ ، تهذيب اللغة : ١٣ / ٣٢٩ .

ومنه يقال : رجل رابط الجاش ، وربيط الجاش اي شديد القلب كانه يربط نفسه عن الفرار ، يكفها بجراته وشجاعته ، وربط جاشه رباطة اشتد قلبه ووثق وحزم ، فلم يفرّ عند الروع .

على أن كلّ هذه المعاني تلتقي عند اصل واحد هو الشدّ والثبات .

قال ابن فارس في مادة (رَبَطَ) :

« الراء والباء والطاء اصل واحد يدل على شدّ وثبات »(٣٥) .

وهو محور هذه المعاني اللغوية :

فرباط الشيء وربطه ، ورباط الخيل ومرابطتها ، ورباط الجيوش ومكانها ، ورباط النفوس ومرابطتها ، ورباطة الجاش ، ورباط الفؤاد وغير ذلك ، كلها تحتوي على هذا الاصل، اذ" اطلقت التسمية اما على نفس الربط ، او على مكانه ، او آلته ، او سببه ، او غير ذلك ممّا له علاقة به على سبيل المجاز .

وإنّما ذكرنا هذه المعاني لنتلمّس الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي .

معنى الرباط اصطلاحا :

تطلق لفظة « الرباط » في المصطلح الحربي عندهم على موضع حصين ينشأ على الحدود ، يقيم فيه ، ويلازمه اولئك الذين نذروا انفسهم للجهاد في سبيل الله ، ورغبة في نيل ثوابه ، وتأهبوا بخيولهم وعدتهم ، مستعدين للدفاع عن حدود البلاد ، وحراستها ، وصد هجمات الاعداء وغاراتهم ، ومراقبة تحركاتهم ، وما هو عليه شأنهم ، ومعرفة ما ينوون القيام به من اعمال يقصد بها التحرك نحو دولة العرب والمسلمين ، والاضرار بهم ، وايقاع الاذى والضرر باشخاصهم وممتلكاتهم ، ثم اخطار المسؤولين واعلامهم بذلك ، بمختلف وسائل الاعلام ، ان لم يتمكنوا من صد ذلك ، وهم يقضون وقت فراغهم بالمجاهدة النفسية ، عن طريق اقامة العبادات من صلاة طويلة ، وصيام مستمر ، وتلاوة دائمة للذكر الحكيم ، كانهم يعدّون انفسهم لنيل شرف الشهادة في سبيل الله ، وفي سبيل العقيدة والمبادىء ، وحماية الاوطان ،

(٣٥) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ٤٧٨

كل ذلك يقومون به الى جانب التدريب العسكري والحراسة .

يفهم هذا من تعريفاتهم للرباط الاصطلاحية : قال الصاغاني:

« والرباط واحد الرباطات المبنيّة » (٣٦) .

وقد عرفه ابن الاثير بأنه « اسم لموضع رباط الخيل »(٣٧) .

وقال الراغب الاصفهاني » ومنه رباط الجيش . سمي المكان الذي يخص باقامة حفظة فيه رباطا »(٣٨).

وقد عرفه المستشرق الهولندي (رينهارت دوزي (Reinhart Picter Anne Dozy) بانه « ثكنة عسكرية محصنة ، تبنى على حدود الدولة ،وكان يقيم بها عدا الكتائب العسكرية رجال من أهل التقوى ، ليجاهدوا في سبيل الله ، ويحصلوا بذلك على الاجر والثواب الذي يحصل عليه المجاهدون ضد الكفار »(٣٩) .

امّا المستشرق الهولندي (جورج مارسيه (George Marcais) فقد عرفه بانه « زاوية اسلامية محصنة » ، ثم أضاف قائلاً : « والرباط في الاصل هو المكان يجتمع فيه الفرسان ويتكاكؤون متأهبين للقيام بحملة من الحملات ، ويتصل الرباط ايضا اتصالا وثيقا بمعنى تجهيز نقلة البريد والقوافل بالخيل ، على ان هذه الكلمة اطلقت منذ عهد متقدم على منشأة دينية وحربية في آنٍ اختص المسلمون بها دون غيرهم ، ويتصل نظام الرباط بالجهاد اي الذبّ عن بلاد الاسلام » (٤٠) .

ومعنى ذلك أن الرباط مكان له صفتان : الاولى حربية ، والثانية دينية (٤١) .

(٣٦) العباب : ٦٧ ، وقد نقل هذا القول صاحب القاموس في مادة ربط : ٢ / ٣٧٤ ، وابن منظور في اللسان : ٢ / ١٥٦١ ، والزبيدي في التاج : ٥ / ١٤١

(٣٧) اللباب في تهذيب الانساب : ٢ / ١٤

(٣٨) المفردات في غريب القرآن : ١٨٤

(٣٩) تكملة المعاجم العربية تعريب الدكتور سليم النعيمي : حـ ٥ ، ص ٧١

(٤٠) مادة (رباط) في دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ترجمة الشنتناوي وجماعته (القاهرة ١٩٣٢) حـ : ١٠ ص ١٩

(٤١) احمد عطية الله : القاموس الاسلامي (ط : مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٦) جـ ٢ ص ٨٧

هذه المنشآت كانت لها مكانة عظيمة في نفوس العرب المسلمين ، اذ تسارعوا الى المرابطة فيها تطوعا وانشأوا كثيرا منها على الحدود ، ووقفوا عليها الاوقاف الضخمة ، لان المرابطة ضرب من ضروب الجهاد ،اكتسبت فضيلة عظيمة عندهم، لما ورد فيها من الاثار والاخبار التي تحثّ عليها وتفضيلها على كثير من ضروب العبادات ، وما فيها من الخطر الجليل والاهمية الجسيمة للدولة وكيانها .

فضيلة الرباط والمرابطة في سبيل الله

الرباط والمرابطة في سبيل الله نوع من الجهاد ، فكما ان الجهاد في سبيل الله والذود عن الوطن والعقيدة والدماء والاعراض فرض كفائيّ على المسلمين ، يجب ان تقوم به فئة منهم ، فان لم يقم به احد اثموا جميعا : كذلك الرباط والمرابطة في سبيل الله فرض على وجه الكفاية ، يثاب فاعله كثيرا ، ويأثم تاركه اثما كبيرا يستحق عليه العقاب .

والدليل على فرضيته قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا »(٤٢) .

وذلك امر ، و الامر يقتضي الوجوب ، ولم يصرفه صارف عن ذلك كما هو المعروف عند المحققين في اصول الفقه (٤٣) .

وقوله تعالى :

« وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباطِ الخيلِ »(٤٤) .

فقد امر الله باعداد المستطاع من رباط الخيل ؛ وتهيئتها للقتال ، وملازمتها للثغور استعدادا للجهاد ، اذ جاء بصيغة فعل الامر (أعدّوا) ، والامر يقتضي الوجوب ولم يصرفه هنا صارف عن ذلك .

وكما اعد الله للمجاهدين من الثواب الكبير ، والرضوان والخلود في الجنات : « والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » (٤٥) .

(٤٢) سورة آل عمران من الاية : ٢٠٠

(٤٣) انظر المستصفى في اصول الفقه للغزالي (ط ١ بولاق مصر ١٣٢٢هـ) ١ / ٤٢٩

(٤٤) سورة الانفال من الآية : ٦٠

(٤٥) سورة العنكبوت من الآية : ٦٩

كذلك أعد للمرابطين في سبيل الله ، لانهم مجاهدون على وجه الحقيقة .

وقد وردت آثار كثيرة في فضل الرباط والمرابطة في سبيل الله :

« رباطُ يَوْمٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدُّنيا وما عليها ، وموضعُ سوطِ أحدِكم من الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما عليها ، والرَّوْحَةُ يَرُوْحُها العبدُ في سبيل الله او الغَدْوَةُ خيرٌ من الدنيا وما عليها » (٤٦) .

وخطب عثمان بن عفان ، فقال وهو على المنبر:

اني كتمتكم حديثا سمعتُه من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم كراهيةَ تَفَرُّقِكُمْ عنّي ، ثم بدا لي ان احدِّثكموه؛ليختار امرؤٌ لنفسه مابدا له ؛ سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللـه عليه وسلم يقول :

« رباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الفِ يَوْمٍ في ما سواه من المنازلِ »(٤٧) .

وفي رواية عن عبدالله بن الزبير : قال : خطب عثمان بن عفان الناس فقال :

يا ايها الناس اني سمعتُ حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعني انْ احدِّثكم به إلاّ الضَّنُّ بكم وبصحابتكم ، فَلْيَخْتَرْ مختارٌ لنفسه ، او ليَدَعْ ؛ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من رابطَ ليلةً في سبيل اللهِ كانتْ كألفِ ليلةٍ صيامِها وقيامِها »(٤٨) .

وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من ماتَ مرابطا في سبيل الله اُجريَ عليهِ عملُه الصالحُ الذي كان يعمل ، واجريَ عليه رزقُهُ ، وأَمنَ من الفتّانِ ، وبعثهُ اللهُ يومَ القيامةِ آمنا من الفزع »(٤٩) .

وعن تميم الداريّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من ارتبط فرسا في سبيلِ الله ، ثم عالج علفَهُ بيدهِ ، كان له بكلّ حبةٍ حسنةٌ » (٥٠).

وعن فضالة بن عبيد قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلُّ ميّتٍ يُختَمُ على عملهِ إلاّ الذي ماتَ مرابطا في سبيل الله ، فانه يُنمى له عَمَلُهُ الى يومِ القيامةِ ، ويامَنُ فتنة القبر »(٥١) .

وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الخيلُ لرجلٍ اجرٌ ، ولرجلٍ سترٌ ، وعلى رجل وِزْرٌ .

فاما الذي له اجرٌ ، فرجلٌ ربطها في سبيل الله ، فأطالَ بها في مرجٍ او روضةٍ ، فما اصابتْ في طيلها (اي في اكلها) ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ، ولو انه انقطع طيلها فاستنّت (اي جرت) شرفا او شرفين (اي شوطا او شوطين) كانت آثارها وأروائها حسنات له ، ولو انها مرّت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقى كان ذلك حسنات له فهي لذلك أجر .

ورجل ربطها تغنّيا وتعفّفا ، ثم لم ينسَ حق الله في رقابها ولا ظهورها ، فهي لذلك ستر.

---

(٤٦) حديث « رباط يوم في سبيل الله ... » رواه البخاري في الجهاد واللفظ له (صحيح البخاري – المطبعة العثمانية المصرية ١٩٢٢) حـ ٢ ، ص : ١٠٠ ، ورواه الترمزي في ابواب الجهاد (سنن الترمزي ٢ / ١٠٧ رقم الحديث ١٧١٥)

(٤٧) حديث « رباط يوم ... » رواه الترمزي في كتاب الجهاد عن ابي صالح مولى عثمان (سنن الترمذي : ٢ / ١٠٨ رقم الحديث ١٧١٨)

(٤٨) حديث : « من رابط ليلة ... » رواه ابن ماجة في الجهاد عن عبدالله بن الزبير (سنن ابن ماجة – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط : عيسى الحلبي ١٩٥٤) حـ٢ ص ٩٢٤ . رقم الحديث ٢٧٦٦)

(٤٩) حديث : « من مات مرابطا في سبيل الله ... » رواه ابن ماجة في كتاب الجهاد (سنن ابن ماجة : ٢ / ٩٢٤ رقم الحديث ٢٧٦٧)

(٥٠) حديث « من ارتبط فرسا ... » رواه ابن ماجة في الجهاد (سنن : ٢ / ٩٣٣ رقم ٢٧٩١)

(٥١) حديث : « كل ميت يختم على عمله ... » رواه الترمزي في الجهاد (سنن الترمزي : ٢ / ٨٩ رقم الحديث ١٦٧١)

ورجـــل ربطهـــا فخـــرا ورياءً (اي مناواة ومعاداة) لاهـل الاسلام فهي على ذلـك وزرٌ »(٥٢) .

وعن ابي عباس قال :

سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلـم يقول :

« عينان لا تمسّهما النار : عين بكت من خشية الله ؛ وعين باتت تحرس في سبيل الله » (٥٣) .

من هنا نجد ان المسلمين الاوائل هبّوا الى الانخراط فيصفوف المرابطين تطوعا ؛ ابتغاءً مـا اعده الله لهم من الاجر والثواب ، فنجد في سيرهم من يفنى عمره في المرابطة والجهاد (٥٤) .

نشـــاة الربط

١ ـ بدايات ظهور القلاع والحصون :

ترجع اقامة القلاع الحصينة على الحـدود ومفترقات الطرق الى عهود سحيقة في التاريـخ احتاجت اليها الدول ونصـح باقامتهـا الحكمـاء والمفكرون ، واستعملها قواد الحروب منذ ازمـان نشوء الحضارات الاولى ، ونشوب الحـرب بين المجاميع البشرية قبل الميلاد وبعده ، لا سيما في بـلاد وادي الرافـدين ، في عهـد السومـريين ، والاكديين ، وفي بلاد اليونان في عهد الاغريق ، وبلاد الشـام في عهد الفينيقيين (٥٥) .

وفي بلاد الصين منذ اقدم العصور ، حتى نصّ احد مفكريهم على ضرورة بناء قلعـة صغيرة على كل مفترق طرق تكدّس على سـطحهـا اخشـاب تستعمل للتدفئة ، وتبنى في داخلها انفاق سرية ، ويتم تسلق هذه القلاع بواسطة السـلالم ، ويوضع عدد من الحراس فوق الاسوار ... (٥٦) .

وقد انشئت الاديرة المحصنة التي كان يسكنها الرهبان الفرسان في عهد الامبراطورية البيزنطيـة المسيحية (٥٧) .

٢ ـ ظهور الربط في الدولة العربية الاسلامية :

فلما جاءت الدولة العربية الاسلامية ظهرت الربط والمرابطة منذ عهد مبكر فيها ؛ اذ يـرتبط نظام الربط فيها بنظام الجهاد ، ونشاتها مع نشاته، فلكل دولة فتيّة طرقها الخاصة واساليبها وادواتها التي تحافظ بها على حدودها وثغورها من غـارات الاعداء ومطامعهم .

وقد ظهرت الحاجة الى تحقيق هـذا الهدف منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلـم ، وعهـد خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، فقـد ورد الامر بالمرابطة في القرآن الكريم كما سبق ان ذكرنا في قوله تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » (٥٨) .

وقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٥٩) .

وقد ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم سراياه وعيونه ، فكانوا يقيمون اياما وليالـي ، ولكن ذلك لم يكن على جهة الدوام .

٣ ـ ظهور الحاجة الى المرابطة في القلاع والحصون

فلما اتسعت الفتوحات ، وترامت جنبـات الدولة فيمشارق الارض ومغاربها ، ظهرت الحاجة الى اتخاذ القلاع الحصينـة والمنشـات المعـززة بالحاميات ، لتدفع الشرور ، وترد الاعتـداء ، وتحمي الثغور من الاعداء . فانشئت الربط على الحدود في المفاوز والجبال ، وعلى شواطىء البحار بل اصبح كل ثغر من ثغور الحدود رباطا ، قـال الشيخ عبدالقاهر السهروردي :

---

(٥٢) حديث : « الخيل لرجل اجـر ... » متفق عليـه ، رواه البخاري في المسافاة مـن صحيحـة (٢ / ٣٦) والجهاد (٢ / ٩٧) والمناقب (٢ / ١٨٦) وتفسـير سورة الزلزلة : (٣ / ١٤٢) والاعتصام : (٤ / ١٨٢) ورواه مسلم في الزكاة (صحيح مسلم : ٢ / ٦٨١ رقم الحديث ٩٨٧)

(٥٣) حديث : « عينان لا تمسهما النار ... » رواه الترمزي في الجهاد (سنن الترمذي : ٢ / ٩٦ رقم الحديـث : ١٦٩٠) .

(٥٤) منهم عبدالله المبارك (المتوفى ١٨١هـ) انظر تذكـرة الحفاظ للذهبي (ط : حيـدر آباد ١٩٥٦) ١ / ٢٧٥ رقم الترجمـة ٢٦٠

(٥٥) مونتجمري ، فيكوت : الحرب عبر التاريخ ، تعريـب فتحي عبدالله النمر (مكتبة الانجلو المصريـة بالقاهرة ١٩٧١) حـ ١ ص ٧١ ، ١٠١

(٥٦) صنتزو : فن الحرب ، تعريب محمود حـداد (ط ١ دار القدس بيروت ١٩٧٥) ، ص ١٠٧

(٥٧) احمد عطية الله : القاموس الاسلامي : ٢ / ٨٧

(٥٨) سورة الانفـال من الآيـة : ٦٠

(٥٩) سورة آل عمـران من الآيـة : ٢٠٠

« واصل الرباط ما يربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع اهله عمن وراءهم رباط »(٦٠)

ولاشك ان كل دولة لابد ان تجعل لها نقاط حراسة ومراقبة على حدودها المتاخمة للاعداء ، ولذلك لا غرابة ان تكون الدولة العربية الاسلامية في ايامها الاولى محروسة بخطوط من الربط كما يقول المستشرق (كريزويل Creswell)(٦١)

الا ان تلك الربط كانت في اول عهدها بسيطة لا تعدو عن كونها خياما يعسكرون فيها ، ثم لا يلبثون ان يغادروا تلك المنطقة لانتهاء المهمة التي جاءوا من اجلها ، يتبين ذلك من مسيرة جيوش الفتح وما يذكره المؤرخون من مرابطتهم لاجل فتح حصن ، او بلدة ، او اقليم ، من ذلك ما رواه الطبري عن مرابطة جيوش المسلمين في اثناء فتحهم للعراق والشام ، ولا سيما جيش خالد ابن الوليد الذي امره ابو بكر بالتوجه الى الشام؛ فقد رابط هو وجيشه على حصن قريب من عين التمر ، وضع فيه كسرى مقاتلة فيه فرابط تجاههم وحاصرهم ، حتى استنزلهم وضرب اعناقهم (٦٢) .

ومرابطته في قناة بصرى حتى فتحها الله على المسلمين(٦٣) .

ثم ظهرت الحاجة الى تثبيت تلك النقاط واستقرارها ببناء الحصون والقلاع ، فكان بناء الحواضر كالكوفة والبصرة ، وغيرهما ، وكان الدافع في بنائهما عسكريا .

ونستطيع ان نتصور مقدار تلك الحاميات المرابطة على حدود الدولة العربية الاسلامية في اوائل عهودها ، بما رواه ابن جرير الطبري اذ يقول :

« وقد كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولا من فضول اموال المسلمين عدة لكون ان كان ، فكان بالكوفة من ذلك اربعة الاف فارس »(٦٤) .

وذكر في موضع آخر ما صورته :

« كان لعمر اربعةالاف فرس عدة لكون ان كان ، يشتيها في قبلة قصر الكوفة ، وميسرته ، ومن اجل ذلك يسمى ذلك المكان : الآري ، الى اليوم ، ويربعها فيما بين الفرات والابيات من الكوفة مما يلي العاقول ، فسمته الاعاجم : آخر الشاهجان ، يعنون معلف الامراء ، وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من اهل الكوفة ، يصنع سوابقها ويجريها في كل عام ، وبالبصرة نحو منها ، وقيمه عليها جزء بن معاوية؛ وفي كل مصر من الامصار الثمانية على قدرها ، فان نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا الى ان يستعد الناس »(٦٥) .

ومعنى ذلك انه كانت هناك قوة هائلة من الفرسان المرابطين في الامصار الثمانية انذاك عدا المشاة والمقطوعين .

واستمر الحال كذلك ، لكون الدولة في اول ظهورها وفتوتها وتوسع رقعتها ، حتى اذا توقفت الفتوحات ، لزم الامر بناء القلاع والحصون على الحدود ، وتحصين الثغور .

٤ ـ تفقد الخلفاء والقواد للربط والاكثار منها :

وترد في سير الخلفاء اخبار تفقدهم لهذه المنشآت ، وامرهم بالاكثار منها ، ولا سيما في المناطق الحدودية ، فقد بنى هرثمة بن أعين ـ احد قواد الخليفة العباسي هارون الرشيد ـ رباط المنستير في سنة ١٨٠ هـ وما يزال بنيانه قائما (٦٦) ، وهو نفسه الذي انشا حصونا مماثلة له في ارمينيا وطرسوس وغيرهما (٦٧) .

وقد ذكر المؤرخون انهم في العصر العباسي الاول « بنوا الرباط في المفاوز ، واوقفوا عليها الاوقاف ، وكل رباط يسع الف فارس »(٦٨) .

---

(٦٠) السهروردي ، عبدالقاهر بن عبدالله : عوارف المعارف (دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٦) ص ١٠٤

(٦١) Creswell : Early Muslim Architecture (Oxford 1967) Vol. II P. 168.

(٦٢) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم (دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٦٢) ٣ / ١٥

(٦٣) نفس المصدر : ٣ / ٤١٧

(٦٤) نفس المصدر : (دار المعارف بمصر ١٩٧٠) ج٤ ص٥١

(٦٥) نفس المصدر : ٤ / ٥٢

(٦٦) انظر عبدالله الزناد : خلاصة في تاريخ رباط المنستير او القصر الكبير ، ملحقة بكتاب (الامام المازري وقصر الرباط) (دار بوسلامة ـ تونس ١٩٦٧) ص ٧٠

(٦٧) خليل سعيد : الربط الاسلامية (رسالة ماجستير في الآثار مقدمة الى جامعة بغداد سنة ١٩٧٢ مطبوعة على الرونيو) ص : ٢٨

(٦٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (ط : دار الكتب) ج٣ ص ١٦٣

ثم تقدمت السنون ، وتجددت الحوادث التي تستدعي تقوية الثغور ، مما بعثهم على الاكثار منها والعناية بها ، ولم تخل ثغرة في الحدود من رباط ، حتى بلغت الربط عددا يتعرد على الحصر ، فقد ذكر ياقوت ان في (بيكند) وحدها نحو الف رباط (٦٩) .

وروى غيره ان عدد الربط على حدود التركستان بلغ عشرة آلاف رباط لصد عدوان المغول والترك (٧٠) .

وذكر لنا مؤلفو كتب الرحلات عن وجود كثير من الربط في بلاد الشام (٧١) .

وقد كثرت الربط في مصر وشمال افريقيا فقد عقد ابن دقماق فصلا عن الربط في مصر في كتابه الانتصار (٧٢) ، وقام بوصفها .

ومثله فعل المقريزي في خططه (٧٣) .

وبنى الاغالبة عددا كبيرا من قصور المرابطة في شمال افريقية ، لصد هجمات البيزنطيين ، ذكر ابن خلدون عن احد امرائهم وهو ابو ابراهيم احمد ابن محمد الذي حكم ما بين سنتي ٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ انه قد بنى عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد ، وكان من بينها عدد كبير من الرباطات (٧٤) .

ولقد عرفت دولة المرابطين بهذا الاسم مأخوذا من ملازمتهم للمرابطة في حصن يسمى بحصن الرباط . وهو حصن صغير مسلح في جزيرة بأسفل السنغال (٧٥) .

وما يزال اسم الرباط العاصمة السياسية في مراكش اسما مأخوذا من رباط الفتح الذي انشأه الموحدون (٧٦) .

فانتشرت الربط في شمال افريقيا حتى كانت هناك شبكة من الربط على سواحل البحر (٧٧) .
اضافة الى ما انشأوه من قلاع المرابطة في صقلية (٧٨) ، الى جانب ماكان منها في الاندلس .

واستمرت العناية بها حتى في العهد العثماني ، فأسسوا الكثير منها في اعالي الجبال على الحدود ، لا تزال قائمة حتى وقتنا هذا (٧٩) .

٥ ـ تسميات هذا النوع من الربط :

والمتتبع لتاريخ نشوء الربط وتطورها يجد ان الهدف من انشائها في أول الامر كان هدفا عسكريا .

ومن هنا اطلق على الرباط تسميات عسكرية : فقد اطلق عليه اسم (المحرس) ، كالذي يفهم من كلام ابن دقماق حين ذكر ثمانية محارس (٨٠) ، اشارة الى مهمة الربط في حراسة البلاد .

وقد شاعت هذه التسمية في شمال افريقيا (٨١) وربما سمي الرباط باسم القصر وهو اسم يدل

---

(٦٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان (دار صادر ١٩٧٧) ١ / ٥٢٣

(٧٠) احمد عطية الله : القاموس الاسلامي : ٢ / ٤٨٧

(٧١) انظر على سبيل المثال : المقدسي ، شمس الدين محمد ابن ابي بكر (المتوفى ٨٤٥) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٨٧٧) ص ١٧٧ وذكر اسماء ربط ، وقدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي (مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام العراقية دار الحرية ١٩٨١) ص ١٨٦ ، وسماها ثغورا وحصونا .

(٧٢) ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (المتوفى ٨٠٩هـ) : الانتصار لواسطة عقد الامصار (بولاق ١٣١٠) ج ١ ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٧٣) المقريزي ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي (المتوفى ٨٤٥هـ) الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (بولاق ١٢٧٠هـ) ٢ / ٤٢٧ ـ ٣٠)

(٧٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر (بيروت ١٩٥٨) ٤ / ٤٢٩

(٧٥) متي ، فيليب وجماعته : تاريخ العرب (مطول) (دار الكشاف بيروت ط٢ ١٩٥٢) ج٣ ص ٦٤٤

(٧٦) القاموس الاسلامي : ٢ / ٤٨٨

(٧٧) خليل سعيد : الربط الاسلامية (مصدر سبق ذكره) ص ١٧ وقد ذكر اسماء عدد منها ص ١٩ وما بعدها

(٧٨) ديورانت ، ول : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران (لجنة التاليف والترجمة والنشر) ط١ ج١٣ ص٣٨٠ ، وانظر : فازيليف : العرب والروم ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة (دار الفكر العربي) : ص ١٩٥

(٧٩) انظر ما كتبه الباحث اليوغسلافي محمد نيازي تكريج عن انتشار الاسلام في البوسنة والهرسك في رسالته الماجستيرية المقدمة الى جامعة بغداد ١٩٧٣ (مطبوعة على الرونيو) وفيها صور تلك المنشآت .

(٨٠) الانتصار لواسطة عقد الامصار وفيه يذكر محرس بنانة في ج ٤ ص١٥ ، ١٦ ، ٣٦ ، ١٠٤ ،وجه ص ٢٨ ، ومحرس الحريض في ج ٤ ص ٢٩ ، ومحرس عمار في ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٥ ، ومحرس ابي قربة من جزء ٤ ص٢٣ ومحرس قسطنطين ج ٤ ص ٢٩ ، ٣٧ ، ومحرس بني مسكين في ج٤ ص ١٨ ، ٣٩ ، ومحرس النخلة في ج٤ ص ٢٥ .

(٨١) خليل سعيد : الربط الاسلامية (مصدر سابق) ص : ٧

على التحصين والمنع : كما في القاموس (٨٢) ، كالذي فعله الطبري في تسميته قصر الكوفة (٨٣) ، او الذي فعله البكري في تسمية بعض الربط »(٨٤) .

او ربما جمعوا بين الاسمين فقالوا قصر الرباط كما في تسميتهم لرباط المنستير (٨٥) قرب سوسة في شمال افريقيا .

او ربما سموه بالحصن كتسمية حصن الاخيضر ، او قصر الاخيضر ، لتحصين هذا النوع من الربط تحصينا بالغا .

وربما سموه بالثغر كالذي فعله كثير من المؤرخين، قال الشيخ عبدالقاهر السهروردي : « واصل الرباط ما يربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع اهله عمن وراءهم رباط »(٨٦) وقد عقد قدامة بن جعفر بابا في ثغور الاسلام وعدد فيها كثيرا من الثغور البرية والبحرية (٨٧) .

لكن مصطلح (الثغور) عام يطلق على الربط وعلى غيرها من المدن المتاخمة للدول الاخرى التي ربما سميت (عواصم) (٨٨) ايضا .

وعلى كل حال فان هذه الانواع من الربط تحمل الطابع العسكري المتمثل في الاسوار والابراج والمزاغل والسقاطات (٨٩) .

٦ ـ ظهور ربط الصوفية والفقراء :

ومع تطور الربط الحربية كان قد استجد نوع جديد من الربط ، وهو تلك الربط التي كانت تنشأ للفقراء والصوفية بمقام الزوايا والتكايا والخانقاهات ، كانت المرابطة فيها تهدف الى مرابطة النفس الامارة بالسوء ، ومجاهدتها ، وقتال

(٨٢) القاموس المحيط مادة (قصر) وقد ذكر ان هذه اللفظة علم لسبعة وخمسين موضعا ما بين مدينة وقرية وحصن ودار (٢ / ١٢٢)

(٨٣) تاريخ الطبري حـ ٤ ص ٥٢

(٨٤) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص ٢٤

(٨٥) عبدالله الزناد : خلاصة في تاريخ المنستير او القصر الكبير (ملحقة بكتاب الامام المازري وقصر الرباط) ص ٧٠ .

(٨٦) عوارف المعارف : ١٠٤

(٨٧) الخراج وصنعة الكتابة (مصدر سابق) ص١٨٥ ـ ٢٠٠

(٨٨) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الاسلامي طبعة الدكتور حسين مؤنس (دار الهلال بدون تاريخ): ٢١١/١٢

(٨٩) خليل سعيد : الربط الاسلامية : ص ٦

شهواتها ، بالعزلة ، وتقديم الطاعات ، من صلاة وصيام ، وتهذيب روحي ، واستزادة من العلم والمعرفة . قال الفيومي :

« والرباط الذي يبنى للفقراء مولد »(٩٠) .

قال المقريزي في وصف هذا النوع من الربط : « وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق ، وفتح المعاملة مع الحق ، وترك الاكتساب ، اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب ، وحبس النفس عن المخالطات ، واجتناب التبعات ، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة ، والاشتغال بحفظ الاوقات ، وملازمة الاوراد ، وانتظار الصلوات ، واجتناب الغفلات ، ليكون بذلك مرابطا مجاهدا ، والرباط هو بيت الصوفية ، ومنزلهم ، ولكل قوم دار ، والرباط دارهم ، وقد شابهوا اهل الصفة في ذلك ، فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد ، وعزم واحد ، واحوال متناسبة ، ووضع الرباط لهذا المعنى »(٩١)

وقارن شهاب الدين النويري بين رباط الحرب ورباط النفس قائلا :

« والمرابطة في سبيل الله تعالى تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة ، لان المرابط يقيم في وجه العدو متأهبا مستعدا ، حتى اذا احس من العدو بحركة او غفلة نهض فلا يفوته ، ولا يتعذر عليه، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا ، فاذا دخل الوقت وحضر الامام قام الى الصلاة ، قال الحليمي : ولا شك ان المرابطة أشق من الاعتكاف ، على ان صرف الهمة الى انتظار الصلاة قد سمي رباطا لما جاء في الحديث فيما يكفر الخطايا : وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ... »(٩٢) .

هذا وقد غلبت على الربط هذه الظاهرة لا سيما بعد توقف الفتوحات ، اذ اقبل الناس على هذا النوع من الربط ، فاخذوا يكثرون من بنائها ويوقفون عليها الاوقاف لتكون مأوى للفقراء والزهاد المرابطين فيها .

(٩٠) المصباح المنير مادة ربط : ١ / ٣٢٠ ـ ٣٢١

(٩١) الخطط المقريزية : ٢ / ٤٢٧

(٩٢) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (المتوفى ٧٣٢هـ) نهاية الارب (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ٦ / ١٩٩

(٩٣) الخطط المقريزية : ٢ / ٤٢٧ ، عوارف المعارف : ١٠٧

ولهم في ذلك اصل يعتمدون عليه ، وسند يستندون اليه ؛ وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون الى اهل ولا مال ، مكانا من مسجده كانوا يقيمون به ، عرفوا بأهل الصفة (٩٣) .

وقد اخذوا يتأولون قوله تعالى « اصبروا وصابروا ورابطوا » بالمرابطة في مقام الروح ؛ وعدم السماح لنفلة والفتور ان تعتري الانسان (٩٤) .

ووجهوا النصوص بحسب هذا المعنى ؛ ولا سيما قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ » قال : « اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط » .

بأن ذلك هو الرباط حقيقة لا نمجازا .

وبناء على هذا التوجه ؛ اخذوا ينشئون هذه الانواع من الربط في المدن بكثرة ؛ عدد الدكتور مصطفى جواد منها في بغداد فقط خمسة وثلاثين رباطا (٩٥) ، وذكر آثارها في الثقافة الاسلامية باعتبارها معاهد ثقافية وتربوية .

٧ ـ تعدد تسميات هذا النوع من الربط ايضا :

وقد تعددت تسميات هذا النوع من المنشآت ملاحظة للمعنى الجديد الذي تطورت اليه الكلمة ، فاخذوا في الشرق بعد القرن الرابع الهجري (٩٦) يطلقون عليها احيانا اسم الخانقاة ؛ او الخانقة ،او الخانكاه ، وتعني المكان الذي يتعبد فيه الشيوخ والدراويش والمرشدون يجرون فيه مراسم تصوفهم (٩٧) .

(٩٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للآلوسي (الطباعة المنيرية) ٤ / ١٧٨ ، لطائف الاشارات للقشيري تحقيق الدكتور ابراهيم بسيوني (دار الكاتب العربي بالقاهرة) ١ / ٢١٢ ، عوارف المعارف : ١٠٥ ـ ١٠٦

(٩٥) د. مصطفى جواد : الربط البغدادية وانرها في الثقافة الاسلامية ، بحث في مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق ج٢ من المجلد العاشر لسنة ١٩٥٤ ص ٢١٨ ـ ٢٤٩ ، وج٢ من المجلد الحادي عشر لسنة ١٩٥٥ ص ١٨٨ ـ ٢٠٦ .

(٩٦) خليل سعيد : الربط الاسلامية ص : ١٠

(٩٧) انظر معنى الكلمة في فرهنك فارسي عميد تاليف حسن عميد (طهران ط١ بمطبعة سبهر ١٣٥٧) ص ٤٢٨ ، والمعجم الذهبي لمحمد التونجي (دار العلم للملايين ط١ بيروت ١٩٦٩) ص : ٢٣٢ وقابل ذلك بما في خطط المقريزي : ٢ / ٤٢٧

واحيانا يطلقون عليها اسم الزوايا اوالتكايا، ولا سيما في العهد العثماني (٩٨) ، مشيرين الى ناحية التعبد فيها ، وتمييزا لها عن الربط الحربية التي سميت باسم (الربط)في سائر انحاء الدولة العربية الاسلامية وهي تسمية شاملة لانواعها الحربية والدينية وبيوت الفقراء والمنقطعين .

مهمات الربط الحربية :

ومما تقدم تنجلى لنا مهمات الربط الحربية . ودورها الجليل من الناحية العسكرية والامنية للبلاد :

١ ـ حراسة الحدود :

فهي العين الساهرة على حراسة الحدود وامن المنطقة التي تجاورها ، وهي القوة الدائمة التي تقف متاهبة ،على استعداد كامل لصد هجمات الاعداء وغاراتهم ؛ لا تني ولا تغفل ، فان الغفلة مهلكة ، ولا سيما في هذه المواطن التي تتطلب المزيد من اليقظة والحذر والانتباه الشديد ، فان العدو المتابذ بالعداوة يغتنم الفرص ويتحين سنوحها لينشب مخالبه .

ولاجل القيام بهذه المهمة على وجهها الاكمل كان لكل وجبة من المرابطين خفارة معلومة ، الى جانب قيامهم بالتدريب والتمرينات ، دون الاخلال بواجبات الحراسة التي هي من المهمات الاساسية التي انشئت الربط من اجلها .

٢ ـ الانذار السريع :

ومن مهام الربط الاساسية القيام بمهمة الانذار السريع ؛ بالاشعار والتنبيه الى حدوث نازلة او خطب .

وقد استخدموا لاجل ذلك اساليب متعددة منها استخدام ابراج المنائر لنقل اشارات ضوئية متفق عليها ؛ ولا سيما في اثناء الحروب الصليبية .

قال (G. Marcais)

« وتتخذ هذه الرباطات ابراج مراقبة ، لتحذير اهل البلاد المهددين وجنود الحاميات التي في داخل

(٩٨) الربط الاسلامية :١٢

البلاد ، وعلى حدودها الذين يستطيعون شد ازر المدافعين » (٩٩) .

واضاف :

« وكانت الشواطىء تعج ايضا بهذه الرباطات، من ذلك انه كان ثمة رباطات على طول شواطىء فلسطين وافريقية ، وقد ذكر ان المنارات التي كانت تلحق بالرباطات او تنشأ قائمة براسها قد اتاحت للقوم بعث الرسائل من الاسكندرية الى سبتة في ليلة واحدة ، ومن الواضح ان في هذا شيئا من المبالغة ، ومع ذلك فانا نلاحظ انه كان هناك نظام لارسال الاشارات سريع سرعة لا باس بها ، كما نلاحظ ان الاسكندرية قد ذكرت في هذا المقام ، والظاهر ان منارها كان بنخذ رباطا »(١٠٠) .

وذكر ان « الرباطات التي قامت على شواطىء فلسطين كانت تستعمل لاغراض اخرى من الاغراض التي يقصد بها وجه الله ، فقد كانت مناراتها تستخدم لتنبيه القوم عند اقتراب السفن النصرانية التي تحمل اسرى المسلمين الذين اتفق على تبادلهم، وكان كل امرىء يسعى حتى يكون له نصيب في هذا العمل ما وسعته طاقته »(١٠١) .

كما ذكر ان حاميات هذه الربط تدعم فيحالة الخطر برجال ذوي باس من البلاد المحيطة ، وقد جرت الحال على استدعائهم بقرع الطبول (١٠٢) في فلسطين ايام الحروب الصليبية .

وكما يكون الانذار السريع بالاشارات الضوئية ؛ او بقرع الطبول ، يكون باساليب اخرى لا تقل سرعة عن ذلك ، مما كان متبعا في نظام البريد ، من استخدام القوافل البريدية ، او الحمام الزاجل ، او السهام او السعاة (وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير ثلاث مراحل في رحلة)؛ او استخدام الدخان من فوق المناظر ، وكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط فيصل الخبر في وقت قصير (١٠٣) .

---

(٩٩) مادة (رباط) في دائرة المعارف الاسلامية : ١٠ / ١٩

(١٠٠) نفس المصدر : ١٠ / ٢٠

(١٠١) نفس المصدر : ١٠ / ٢٠

(١٠٢) نفس المصدر : ١٠ / ٢١

(١٠٣) انظر ذلك بالتفصيل في تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٣ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة (ط : ٢ بمطبعة لجنة التاليف ١٩٥٧) ٢ / ٤١٥ ، زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ترجمة فاروق بيضون (المكتب التجاري بيروت ط ١ ، ١٩٦٤) ص ٥٢ ، قصة الحضارة ١٣ / ١٤٧

٣ ـ الاستطلاع :

ومن المهام التي كانت تقوم بها الربط مهمة الاستطلاع والتحري ، وكشف احوال الاعداء ، ومعرفة اسرارهم ، ونواياهم ، وواقع حالهم ، مما يسمى بتقدير الموقف .

وللقيام بهذه المهمة طرق مختلفة واساليب متنوعة تختلف بحسب طبيعة المكان،وحالة الزمان، ووضع الاعداء والمهمة التي يقام بها ، والامكانات التي تستخدم .

وهذه المهمة من اخطر المهمات التي تقوم بها الربط ، اذ عن هذا الطريق تتيسر معرفة حجم قوة الاعداء ، واماكنهم ، وتنقلاتهم ، ونواياهم ، ومواقع الخلل فيهم، بغية الاستعداد لذلك ، واخذ الحيطة ، واستغلال نقاط الضعف فيهم .

وكانت هناك سرايا او اشخاص منفردون يقومون بهذه المهمة ، ويتولونها بحذق وذكاء شديدين ، لان الامر يتطلب الكتمان والسرية ، فلا يثيرون ريبة ، حول عملهم ، ولا شكوكا .

وقد يحصلون على خبر بسيط في ظاهره يكون وراءه امر عظيم في الاهمية ، فقد تكون هناك ظاهرة بعيدة الدلالة ، يمكن من تحليلها ان تعرف قوة الخصم وعددهم .

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة الوقوف على خبر قريش في معركة بدر:

يروى ابن هشام وغيره ان رسول الله صلى عليه وسلم بعث عليا والزبير وسعد بن ابي وقاص في نفر من اصحابه رضوان الله عليهم يلتمسون اخبار قريش ، فاصابوا غلامين احدهما اسمه اسلم ، وهو غلام بني الحجاج ، والثاني ابو يسار وهو غلام بني العاص ، فلما احضروهما ، تولى الرسول صلى الله عليه وسلم استجوابهما بنفسه :

فقال لهما : « كم القوم » ؟

قالا : كثير .

قال : « ما عدتهم » ؟

قال : لا ندري .

قال : « كم ينحرون كل يوم » ؟

قالا : يوما تسعا ويوما عشرا .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « القوم فيما بين التسعمائة والالف » فكانوا تسعمائة وخمسين .

ثم قال لهما : « فمن فيهم من اشراف قريش »؟ فذكرا له اسماء القوم .

ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها »(١٠٤) .

وذكر ابن هشام ايضا ان ممن كان يستطلع له اخبار قافلة ابي سفيان بسبس بن عمرو وعدي بن ابي الزغباء ، اذ مضيا الى بدر فسمعا حوارا بين جاريتين فقالت واحدة لاخرى : انما تاتي العير غدا او بعد غد فأقضيك ، وكان بجوارهما رجل اسمه مجدي بن عمرو فصدقهما فيما قالتا ، فعاد الرسولان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه بموعد القافلة (١٠٥) فكان كما قالا .

وربما كان الامر يستدعي السرية التامة حتى على منفذي المهمة ، نجد ذلك واضحا في قصة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسم لعبدالله بن جحش على راس سرية استطلاع ومرابطة ، ولكنه لم يخبره بها وجاها ، بل كتب له كتابا مقفلا ، وحدد له مسيرته ، وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ويمضي لما امره به .

ولما سار يومين فتح الكتاب وفيه : « اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة (اسم موضع) بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من اخبارهم »(١٠٦) .

وقد ادت فرق الاستطلاع خدمة عظيمة للجيوش العربية الاسلامية على طول التاريخ ، ادت الى حسم كثيرمن المعارك لصالح الجيش العربي الاسلامي ، نكتفي هنا بذكر ثلاثة نماذج :

فقد استمد خالد بن الوليد عن طريق فرق الاستطلاع والعيون في حصاره هو وبقية قطاعات الجيش لمدينة دمشق معلومات تفيد ان البطريق في دمشق قد ولد له ولد ، فاولم وليمة لجنده ، فاكلوا ، وشربوا ، وتراخوا في البقاء في اماكنهم ، فغفلوا عن مواقعهم ، وخالد يترصدهم ، فاعد حبالا على هيئة سلالم ، واوهاقا (حبال في طرفها انشوطة تؤخذ بها الدابة او الانسان) فتسلقوا الاسوار وكان فتح ناحية من دمشق على يده عنوة ، بينما فتحت الجهات الاخرى صلحا(١٠٧) .

واستثمر القائد الفضل بن جعفر الهمداني في سنة ٣٣٢ هـ معلومات وصلت اليه بواسطة فرق الاستطلاع ليحول النجدة المتوقعة للعدو الى كارثة عليهم ، فقد علم ذلك القائد العربي حين كان محاصرا لمدينة (لونتيني) في صقلية ، بأن البطريق الرومي قد اسرع الى نجدة المحاصرين ، وكان المتفق بينه وبينهم ان يؤذنهم بقدومه بنار يوقدها على أحد الجبال المجاورة للمدينة ، فاوقد الفضل النار ثلاث ليال متتابعة على نفس الجبل ، فلما كانت الليلة الرابعة، وتوقع اهل المدينة المحصورون ان يكون البطريق حسب الاتفاق قريبا منهم خرجوا موقنين بالنصر ، فتصنع العرب الهرب حتى استدرجوهم الى كمين مهيأ من قبل ، على حين كانت المدينة خالية ، وهجم الكمين فجأة فهزم الروم وهربوا ، واخذت المدينة دون سلاح (١٠٨) .

وفتح صلاح الدين القدس وحررها من الصليبيين بناء على معلومات وصلته بواسطة عيونه ، بوجود ثقب في سورها (١٠٩) .

وبمرور الايام نجد أن هناك من يتخصص بهذه المهمة (اعني مهمة الاستطلاع) يسمون بالكوهبانية ، وهم اصحاب الاخبار الذين يرسلون للاستطلاع(١١٠) .

٤ ـ مهمات ثقافية وتربوية ودينية :

وتقوم الربط الى جانب ماذكرنا آنفا بمهمات ثقافية (١١١) وتربوية ودينية :

---

(١٠٤) السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته (ط٢ مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٥) قسم١ ص ٦١٦ ـ ٦١٧ ، وقد روى ذلك ايضا ابن سعد في الطبقات الكبرى تحقيق ادوارد سخاو (مطبعة بريل ليدن ١٣٢٥) حـ ٢ قسم١ ص ٩

(١٠٥) السيرة النبوية : ١ / ٦١٧ ، الطبقات الكبرى : ٢ / ١ / ٧

(١٠٦) السيرة النبوية : ١ / ٦٠٢ ، الطبقات الكبرى : ٢ / ١ / ٥

(١٠٧) تاريخ الطبري : ٢ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠

(١٠٨) فازيليف : العرب والروم : ١٨١ ـ ١٨٢

(١٠٩) ابن شداد ، بهاء الدين : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروفة بسيرة صلاح الدين تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال (ط١ مطبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٦٤) ص ٨١

(١١٠) تاريخ التمدن الاسلامي : ١ / ٢٤٣

(١١١) الدكتور مصطفى جواد : الربط البغدادية وانرها في الثقافة الاسلامية (مجلة سومر المجلد العاشر ١٩٥٤) حـ٢ ص ٢١٨ وما بعدها .

ففيها يقضي المرابطون اوقات فراغهم بسماع محاضرة او مدارسة القرآن ، او الحديث وروايته، والتلمذة على الشيوخ ، والتاليف ، والعبادة ، والاعتكاف .

وقد توفر في بعض الربط الكثير من الكتب الموقوفة التي كانت تستهوي طلبة العلم ، فاصبح بعضها معاهد ثقافية،تقوم بدور ثقافي كبير لا يقل شانا عن المعاهد الثقافية الرسمية والمدارس المعروفة .

واضطلعت ربط كثيرة في غرب افريقيا بمهمة نشر الاسلام فاصبحت مراكز هامة لنشره هناك(١١٣) .

هذا فضلا عن ان المرابطة كما تشمل مرابطة الاعداء ومراقبتهم تشمل مرابطة النفوس ومجاهدتها ، وهذه الاخيرة ــ اعني مرابطة النفوس ومجاهدتها ــ قد اصبحت منزلة سامية عند الصوفية يرتقى اليها من اجتاز منازلها ومقاماتها :

قال الغزالي بعد ان ذكر ان الله مطلع على عباده يعرفه سرائرهم :

« فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد ،وانهم سيناقشون في الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات ، وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة ، وصدق المراقبة ، ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته ، وفادته الى الخزي والمقت سيئاته ، فلما انكشف لهم بذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله ، وقد امرهم بالصبر والمرابطة ، فقال عز من قائل : (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاتبة ، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات .... »(١١٢)

(١١٢) احمد عطيةالله : القاموس الاسلامي : ٢ / ٤٨٨

(١١٣) الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (المتوفى ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين (ط : المكتبة التجارية الكبرى بمصر) جـ ٤ ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤

ثم بدأ يشرح هذه المقامات الست(١١٤) ...

وسواء اكانت الربط حربية ام صوفية فانها بنوعيها اصبحت مراكز للثقافة والتهذيب الروحي والتربوي ، يتتلمذ طلبة العلم فيها على اساتذتهم ويروون عنهم احاديثهم وينقلون اراءهم ، ويعظ الواعظون فيها الناس ويبصرونهم ، ويؤلف المؤلفون فيها كتبهم ، بالاستعانة بما فيها من الكتب ، ويتخرج الصوفية فيها على ايدي شيوخهم .

٥ ــ مهمات انسانية :

وتقوم الربط بمهام انسانية ، يامن فيها المارة من شر اللصوص ، لا سيما في الصحارى والقفار ، ويجد فيها الضال مرشدا ، والمحتاج اعانة ، والمسافر ماوى ، وابن السبيل ملاذا ، والفقير ملجا ، قال شمس الائمة السرخسي :

« ومنه ــ اي من الربط ــ سمي الرباط رباطا ، للموضع المبني في المفازة ليسكنه الناس ، ليامن المارة بهم من شر اللصوص .. »(١١٥) .

(احوال المرابطين)

١ ــ المرابطون متطوعون :

والمرابطون هم اولئك الذين انضموا الى سلك المرابطة عن رغبة وتطوع ، وابتغوا في رباطهم الاجر، وطمعوا في لقاء الله العاجل ، فهم كسائر افراد الجنس العربي الاسلامي في اول امره في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ينضمون اليه تطوعا، وابتغاء مرضاة الله ، والفوز بثوابه الجزيل في الآخرة ، ولم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه اجبر احدا على التجنيد او المرابطة ، بل كانت المسالة طوعية ، ويكتفي الرسول صلى الله عليه وسلم بالحض على الجهاد والندب اليه، ويؤمله ان يتخلف احد عنهذا الشرف العظيم شرف الجهاد المقدس وايصال كلمة الحق الى اهلها .

(١١٤) المصدر نفسه : ٤ / ٢٩٤ ــ ١٢٢

(١١٥) السرخسي ، شمس الائمة محمد بن احمد (المتوفى سنة ٤٨٢هـ) : شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني تحقيق صلاح الدين المنجد (مطبعة مصر ١٩٥٨) جـ١ ص ٧

وذلك لان النجاح في الجهاد انما يتطلب الايمان القوي والمشاعر الصادقة في الاندفاع لتحقيق اهداف ذلك الجهاد ، لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يؤثر ان يصحبه في معاركه من كان يقبل على القتال عن طواعية ورضى(١١٦) .

ولما ارسل عبدالله بن جحش في سريته ليرابط في موضع نخلة بين مكة والطائف وليترصد قريشا أمره بأن لا يستكره من اصحابه احدا(١١٧).

وحين خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي العشيرة لم يكره احدا على الخروج(١١٩) .

وأثر عنه انه كثيرا ماكان يقول :

« لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد »(١٢٠).

وسار ابو بكر رضي الله عنه على ذلك فكان يكتب لقواده في فتوح الشام والعراق ومنهم خالد ابن الوليد وعياض بن غنم بان يأذنوا لمن شاء بالرجوع وان لا يستفتحوا بمتكاره (١٢١) .

وفي عهد عمر اتسعت الفتوحات وامتدت في أقطار الارض ، ومست الحاجة الى المحافظة على كل بلدة بقوات نظامية دائمية كبيرة اضافة الى المتطوعين ، فظهر التجنيد الالزامي بظهور الدواوين(١٢٢)، وحددت للجنود النظاميين عطاياهم من بيت المال .

فقد روى الطبرى ان عمر بن الخطاب «كتب الى عمال العرب على الكور والقبائل: لا تدعوا احدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو راي الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي والعجل العجل »(١٢٣) .

ثم تتالت العصور فصارت هناك الجيوش النظامية الكبيرة .

(١١٦) الصالح ، الدكتور صبحي : النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (دار العلم للملايين بيروت ط ٤ ١٩٧٨) ص٤٨٦

(١١٧) السيرة النبوية لابن هشام : ٦٠١/١

(١١٩) طبقات ابن سعد جـ٢ قسم ١ ص ٤

(١٢٠) الدكتور صبحي الصالح : النظم الاسلامية : ٤٨٦

(١٢١) تاريخ الطبري : ٢ / ٢٤٦

(١٢٢) النظم الاسلامية : ٤٨٨ ـ ٤٨٩

(١٢٣) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٧٨ ـ ٤٧٩

ومع ذلك ظلت اعمال المرابطين في الربط على طوعيتها الى جانب الكتائب العسكرية النظامية؛ حتى في العهود التي حدثت فيها الحروب الصليبية.

قال المستشرق جورج مارسيه (G. Marcais)

« وكان معظم هذه الرباطات منشآت حكومية ، الا ان خدمة المحاربين فيها لم تكن بأي حال من الاحوال اجبارية ، فرجال الرباط (المرابطون) متطوعون من اهل النقى والورع نذروا انفسهم للذب عن الاسلام ، وقد يلتحق بعضهم بالرباط بوصفه تكية يقضون فيها بقية ايامهم ، على ان الغالبية الكبرى كانت تقضي فيه اياما من السنة محدودات طالت أو قصرت. .»(١٢٤)

٢ ـ الاستبدال بالمرابطين :

وهؤلاء المرابطون لا يظلون على طول المدى مرابطين الا من رغب منهم في ذلك ، فقد كانت لهم طرق متبعة في الاستبدال بهم ، تماما كالجندي الذي يحارب في جبهات القتال لابد ان يستبدل به آخر يقوم مقامه مدة من الزمان ، ليستعيد نشاطه ، ويتأهب للعودة مرة اخرى ، خوف الملالة والسأم ، فان الضجر يولد التخاذل واليأس ؛ وذلك امر تنبه اليه الاوائل منذ وقت مبكر :

فقد ورد في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه بينما كان يعس ذات ليلة (اي يتجول ليلا في سكك المدينة للحراسة وتفقد الرعية) اذ بامرأة جالسة على سرير ، وقد اجافت (اي اغلقت) الباب وهي تقول :

تطاول هذا الليل واخضل جانبه
وارقني ان لا خليل الاغبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره
لحرك من هذا السرير جوانبه

فقال عمر رضي الله عنه : اواه .. ! ثم خرج حتى دخل على حفصة ام المؤمنين رضي الله عنها ، فقالت : يا امير المؤمنين ما جاء بك في هذا الوقت ؟

(١٢٤) مادة (رباط) في دائرة المعارف الاسلامية ، ١٠ / ٢١

قال : اي بنية .. ! كم تحتاج المراة الى زوجها ؟

فقالت : في ستة اشهر .

فكان لا يغزي جيشا له اكثر من ستة اشهر(١٢٥) .

وهذه المدة بلا شك هي المدة القصوى ، ولا فقد كانوا يستبدلون بهم آخرين عدة مرات في السنة . وقد بقي ذلك حتى بعد توقف الفتوحات . قال (مارسيه Marçais) :

« وكانت الحاميات في الرباطات تستبدل استبدالا تاما عدة مرات في السنة ، وكان استبدال الحامية برباط (ارزلة) في عاشوراء ، وفي بداية رمضان ، وفي عيد الاضحى ، وكان يقام لهذه المناسبة سوق هام ... »(١٢٦)

٣ ـ مشاركة المراة في المرابطة :

ولم تتخلف المراة عن المشاركة بهذا الواجب المقدس ونيل قسط من هذا الشرف العظيم :

فقد رابطت المراة كما يرابط الرجل :

قال البكري في وصفه لرباط المنستير في المغرب : « وفي القبلة صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات .. »(١٢٧)

٤ ـ المرابطون في الربط الدينية :

اما المرابطون في الربط الدينية فهم اولئك الذين زهدوا في الدنيا ، وانصرفوا عن ملاذها ، واعرضوا عن الخلق ، وسلكوا طريق الحق ، وانشغلوا بتعبدهم واورادهم وتلاوتهم وتسبيحهم وحضور حلقات الذكر والتسليك ، وسماع مواعظ الشيوخ ومحاضراتهم ، او النسخ ، او التاليف ، ويأكلون من الاوقاف التي وقفت على

(١٢٥) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (المتوفى ٥٩٧هـ) : سيرة عمر بن الخطاب (الدار القومية للطباعة والنشر في القاهرة بدون تاريخ) ص٥٩

(١٢٦) مادة (الرباط) في دائرة المعارف الاسلامية : ١٠ / ٢١

(١٢٧) البكري ، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (المتوفى ٤٨٧هـ) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (طبعة مصورة عن طبعة باريس ١٩١١) ص ٣٦

الرباط ، وقد كان منهم الفقهاء ، والادباء ، والقراء ، والمحدثون ، والمؤلفون (١٢٨) ...

تخطيط الربط الحربية :

يختلف تخطيط الربط الحربية باختلاف الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بها ، والاهداف التي انشئت من اجلها ، ورغبات منشئيها ...

ولكن الملاحظ من الربط التي بقيت آثارها قائمة الى اليوم ، كرباط المنستير الذي اقامه حسان بن النعمان في شمال افريقية سنة ١٨٠ هـ ، ورباط سوسة الذي يعود انشاؤه الى سنة ٢٠٦هـ في عهد الاغالبة في شمال افريقية ايضا ، ورباط تيت في مراكش الذي بناه الموحدون ، وغيرها من الربط ، ان هناك ظاهرة تجمع بينها :

فهناك سور حصين واسع يحيط به وفي هذا السور قلاع وابراج ، وينقسم في الداخل الى غرف للسكنى ومخازن للمؤن وخزائن للاسلحة والعتاد الحربي »(١٢٩) .

وهناك في داخله صحن واسع ، واصطبل للخيل ، ومسجد ، ومورد للماء والوضوء .

وفي الرباط منارة متصلة به او منفصلة ان لم يكن فيه برج او ابراج وقد يجمع بين المنارة والابراج ويكون ذلك لغرض المراقبة ، اذ ترسل منها الاشارات ، ولا سيما في سواحل البحر المتوسط ، وقد اتخذ من منارة الاسكندرية رباطا(١٣٠) .

وتتفاوت السعة بحسب نوع الرباط ، وشدة اقبال الناس عليه ، واهميته ،

فرباط المنستير اشبه بمدينة مسورة تحوى قصورا ضخمة ذات طبقات ، وفيها مئات الغرف

(١٢٨) راجع احوال هؤلاء ودورهم الثقافي في : الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاسلامية (مجلة سومر ، م١٠ لسنة ١٩٥٤) حـ٢ ص ٢١٨ وما بعدها (وم ١١ لسنة ١٩٥٥) حـ٢ ص ١٨٨ وما بعدها .

(١٢٩) القاموس الاسلامي (مصدر سابق) ٢ / ٤٨٧

(١٣٠) مادة رباط في دائرة المعارف الاسلامية : ١٠ / ١٩ .

على غاية الاحكام ؛ وفي وسطها مخازن الطعـــام ؛ ومراجل الماء ، ومستودعات آلات الحرب ومرابط الخيل ، وحولها القلاع الحصينة ، يحيط بهـــا اسوار شامخة ، تكاد تطرد الطير عند بلوغها علـى حد قول الهروي(١٢١) .

وقد وصفه البكري بقوله :

« المنستير البيوت والحجـر والطواحـين الفارسية ومراجل الماء ، وهو حصن عالي البنـاء متقن العمل ؛ وفي الطبقة الثانيـة منـه مسـجد لا يخلو من شيخ خير فاضل . وفيه جماعة مـــن المرابطين ، قد حبسوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل ، وهو حصن عال داخله ربض واسع وفـي وسط الربض حصن ثان كثير المساكن ، والمساجد طبقات بعضها فوق بعض ، وفي القبلة صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينـزل حولهـا النســاء المرابطات . وبها جامـع متقـن البنـاء ، آزاج معقودة كلها ، واقباء لا خشب بهـا ، وفيهـا حمامات كثيرة (١٢٢) .

وقد تولى تفصيل القول في وصفه وســنه وحجم بنائـه ومقاييسه ودراسته مـن الناحيـة الآثارية جمع من الباحثين(١٢٣) .

وكان رباط سوسة كالمدينة العظيمة(١٢٤) ، مهيأ لان يلجأ اليه أهل مدينة سوسة اذا وصـل اليهم عدو واضطرارا للقتال(١٢٥) ، محاطا بسـور مربع الشكل ، تدعمه ثمانية ابراج ضخمة ، ولـه غرف كثيرة تطل على مدخل وفناء يتوسطه بئـر . وله طابق علوي ومسـجد ذو منارة شامخة(١٢٦) . .

وربما جعلوا في تخطيط الربط مساحات من الارض المهيأة للزراعـة داخـل الربـاط ليكتفـى المرابطون بزراعتها عـن الحاجـة حين يحاصرهـم الاعداء مدة طويلة .

الاسلحة والمعدات المستعملة عند اهل الربط

لكل وقت اسلحته الخاصة به ، وقد تميزت الدولة العربية الاسلامية بتفوقها الحضاري علـى الامم المعاصرة لها بما تهيأ لها من اسـباب التقدم والعمران . وبما تهيأ لها مما استفادت منه من خبرات الامم السـابقة .

فقد عرف العرب الكثير من انواع الاسلحـة والمعدات التي كانت الجيوش تستعملها آنـذاك في معاركها ؛ اذ أن المرابطين (جنودا ومتطوعين) هم احدى تشكيلات الجيش من الناحية الادارية فـي العصور المتعاقبة ، فلـم يختلـف تسـليحها عـن تسليح الجيوش في شيء .

فاستعمل المرابطـون في دفاعهم وهجومهـم كثيرا من المعدات والآلات التي يستخدمها الجيش العربي الاسلامي والتي يعتبر بعضها اكثر تطـورا وفاعلية من معدات الدول التي عاصرتهم ، منها :

١ ــ السيف والخنجر
٢ ــ الرمح والهراوة
٣ ــ القوس والسـهم
٤ ــ الدرع ؛ وهو قميص منسـوج مـن حلـق حديدية .
٥ ــ المجن ؛ او الترس ، او الدرقة ؛ او الجحفة.

---

(١٢١) الهروي ، ابو الحسن علي بن أبي بكر (المتوفى ٦١١هـ) : الاشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيـق جانيـت سوردل طومين (ط : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٥٣) ص ٥٣

(١٢٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (مصدر سابق) : ٢٦ .

(١٢٣) انظر خليل سعيد : الربط الاسـلامية : ٢٥ ــ ٣٢ ، ابراهيم شبوح : حول منار قصر رباط المنستير واصـوله المعمارية (مجلة افريقية ــ اصدار المعهد القومي للآثـار والفنون ــ تونس ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠) م : ٣ ــ ٤ ص ٥ وما بعدها ، سليمان مصطفى زبيـس : بين الآثـار الاسلامية في تونس (ط : تونس ١٩٥٣) ص ٥٧ ومـا بعدها . عبدالله الزنـاد : خلاصة في تاريخ رباط المنستير (ضمن كتاب : الامام المازري وقصر الرباط ــ مصـدر سـابق) ص ٧٠ وما بعدهـا .

(١٢٤) البكري : المغرب (مصدر سابق) ص ٢٥

(١٢٥) التيجاني ، ابو محمد عبدالله بن احمد (المتوفى ٧١٧هـ) : رحلة التيجاني ، (ط : تونس ١٩٥٨) ص ٨٥

(١٢٦) خليل سعيد : الربط الاسلاميـة : ٢٥

٦ ــ الحسك الشائك ، وهو قطع من الاشواك الصلبة ثم استعاضوا عنها باستعمالها من الحديد ، كانوا يبثونها امام الخنادق لتتعثر بها الخيول .

٧ ــ المنجنيق ، وقد وردت أخبار بان الرسول صلى الله عليه وسلم استخدمه في حصاره للطائف(١٢٧) .

٨ ــ الضبر او الدبابة ، وهي عبارة عن عربة مغطاة بالجلود والخشب تدب الى السور دبيبا ، وقد استعملها العرب والمسلمون في القرن الاول الهجري(١٢٨) .

٩ ــ راس الكبش ، وهو عبارة عن عمود ذي راس حديدي ثقيل يتدلى من سطح البرج لتنطح به الاسوار .

١٠ــ الخيل والجمال

١١ــ الخنادق والمياه

١٢ــ الحصون والاسوار

١٣ــ سلم الحصار والدهق

١٤ ــ النار الاغريقية او النار اليونانية(١٢٩) ، وقد تفننوا فيها فأذاقوا الاعداء من بأسها وأرفعوا في قلوبهم الرعب ، ومن خصائصها انها لا تنطفىء بالماء حين تلامسه ، بل يزيدها اشتعالا .

١٥ــ البارود وبارود المدافع ، وقد استعمله العرب قبل ان يعرفه (روجر بيكون (Roger Bacon)) الذي ينسب اليه اختراع البارود عند الغرب بزمن طويل(١٤٠) .

١٦ــ انواع من القنابل المعروفة لديهم اذ استعملوها في حصار مكة(١٤١) من عهد عبدالله بن الزبير سنة ٦٤ هـ .

الرباط والمرابطة في عهدنا الحاضر

وبعد ان رابط اجدادنا العظام بالاتهم ومعداتهم البسيطة بل البدائية نسبة الى وسائل الفتك في العهد الحاضر ، وفي اجواء قاسية مريرة في مشارق الارض ومغاربها وعلى سواحل الشام ، يعيد التاريخ نفسه ، فتحيق الاخطار بامتنا المجيدة من كل جانب من جديد :

ففي ساعاتنا هذه يرابط ابناؤنا البررة ، واخوتنا الاشقاء بحذر وحيطة وتربص ، واقفين بصلابة على حدودنا الشرقية مع عدو مجوسي حاقد ، وفي داخل فلسطين الحبيبة وخارجها ، مع عدو غاصب مجرم .

يقفون بأسلحة حديثة متطورة تحمل الموت لكل معتد .

يقفون متخذين من الخنادق والحفر التي تحت دباباتهم ربطا يرابطون فيها .

يقفون بآباء وشمم يدافعون عن العقيدة والحرية والوطن .

يقفون شامخين لا يرغم لهم انف ، ولا تذل لهم جبهة .

يقفون صابرين مرابطين ، ولهم من اسلافهم قدوة حسنة :

---

(١٢٧) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٢٨

(١٢٨) التمدن الاسلامي : ١ / ١٧٩

(١٢٩) انظر وصفا لها في كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر (ط ٢: عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٦) ص ٤٧٨ وتاريخ التمدن الاسلامي : ١ / ٢٠٠

(١٤٠) حضارة العرب : ٤٧٨ ــ ٤٧٩ ، تاريخ التمدن الاسلامي : ١ / ٢٠١ ــ ٢٠٣ ، شمس العرب تسطع على الغرب ٥٠ ــ ٥١

(١٤١) ل . ا . سيديو : تاريخ العرب العام نقله عادل زعيتر (ط : ٢ ، عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٩) ص٤٢٤ ، وانظر تاريخ التمدن الاسلامي : ١ / ٢٠١ ، شمس العرب تسطع على الغرب : ٥١

فبالامس كان اجدادنا يحاربون المجوسية والشرك جهارا ، ثم دافعوا عن بلادهم التي داهمتها جيوش الصليبيين في بلاد الشام .

واليوم تعود الصورة ، ولكنها بألوان جديدة ، اكثر خبثا وكيدا :

فهم اليوم يرابطون في الشرق امام عدو مجوسي في حقيقته ، يدعي الاسلام وهو بعيد عنه ، تمده امم الشرك والمطامع بمختلف الامدادات .

ويرابطون في فلسطين امام عدو مجرم سفاك تضافرت قوى الاعداء على امداده بكل السبل، ليبقى راس رمح وركيزة للاستعمار في بلادنا .

فما اشد حاجتنا الى عزم اولئك الابطال وعمهم ، للذود عن كيان امتنا الذي اصبح تهدده الاخطار من المشرق والمغرب . وللحفاظ على عهدها، والدفاع عن شرفنا ووطننا وعقيدتنا .

فلنبق مرابطين في خنادقنا وحصوننا .

ولنصبر في مرابطنا حتى يتحقق النصر الكامل .

ان الله مع الصابرين .

* * *

WWW.ATTAWEEL.COM